

حرف الباء

قد يبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُهُ

كان طرفة في أول أمره منصباً على اللهو يعاقر الخمرة وينفق عليها ماله ؛ وكان في حسب من قومه جرياً على هجائهم وهجاء غيرهم ؛ ومات أبوه وهو صغير، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله وظلموا حقاً لأمه، وكان اسمها وردة، فقال :

[من الكامل]

- مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فِيكُمْ،
 صَغُرَ الْبَنُونَ، وَرَهْطُ وَرْدَةٍ غُيِبُ^(١)
 قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ صَغِيرُهُ،
 حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبُ^(٢)
 وَالظُّلْمُ فَرَّقَ بَيْنَ حَيِّيِّ وَائِلٍ،
 بَكَرُ تُسَاقِيهَا الْمَنَايَا تَغْلِبُ^(٣)

- (١) ورد البيت في لسان العرب ٤٥٩/٣ مادة «ورد». «ووردة: اسم امرأة». ووردة: والدته طرفة، أبى أعمامه توزيع ميراث والده بعد وفاته، وأبوا أن يعطوا والدته حقها في الميراث. ورهط وردة: قومها.
 (٢) تصبب: تسيل.
 (٣) ثمة إشارة لحرب البسوس خالة جساس الذي قتل كليب وائل غدرًا بناقة خالته البسوس، فقامت حرب دامت أربعين عاماً بين بني بكر وبني تغلب. والمنايا: الموت.

قد يُورِدُ الظُّلْمُ المُبَيَّنَ آجِنًا،
 مَلْحًا؛ يُخَالِطُ بِالذُّعَافِ، وَيُقَشِّبُ^(١)
 وَقِرَافٌ مَن لَا يَسْتَفِيْقُ، دَعَارَةٌ،
 يُعْدي كما يُعْدي الصَّحِيحُ الْأَجْرُبُ^(٢)
 وَالْإِثْمُ دَاءٌ، لَيْسَ يُرْجَى بُرْؤُهُ؛
 وَالْبِرُّ بُرءٌ، لَيْسَ فِيهِ مَعْطَبٌ^(٣)
 وَالصَّدْقُ يَأْلَفُهُ الْكَرِيمُ، الْمُرْتَجَى؛
 وَالْكَذِبُ يَأْلَفُهُ الدَّنِيءُ، الْأَخِيْبُ
 وَلَقَدْ بَدَا لِي أَنَّهُ سَيَغُولُنِي
 مَا غَالَ عَادًا وَالْقُرُونُ، فَأَشْعَبُوا^(٤)
 أَدَّوْا الْحُقُوقَ تَفْرِ لَكُمْ أَعْرَاضُكُمْ؛
 إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا يُحْرَبُ يَغْضَبُ^(٥)

(١) الماء الآجن: المتغير لونه وطعمه ورائحته، ممَّا يدلّ على فسادهِ، والذعاف: السِّمُّ القاتل بسرعة. ويقشِب: يمزج. يقصد بذلك أن الظلم مرتعه وخيم يجزّ العداء بين البشر.

(٢) القراف: المخالطة، والدعارة: الفسق والفجور، والأجرب: الجمل المصاب بداء الجرب.

(٣) الإثم: الجرم، الداء: المرض، البرء: الشفاء، المعطب: سوء المصير.

(٤) سيغولني: سيهلكني، قبيلة عاد من القبائل العربية المندثرة، أشعبوا: هلكوا.

(٥) نفر: تصان وتحفظ، يحرب: يسلب ماله ويُعدم ثراه.